توظيف الرمـــز اللونـــي في الشعر الليبي الحديث في الفترة من (1970 م إلى 2000 م)

د. وهيبة الهادي محمد عبدالله* - قسم اللغة العربية - كلية الآداب – العجيلات - جامعة الزاوية

تاريخ الاستلام 14 / 4 / 2025م تاريخ القبول 1 / 8 / 2025م

The Use of Color Symbolism in Modern Libyan Poetry (1970-2000)

Dr. * Waheeba A. Abdullah - Department of Arabic Language - Faculty of Arts – Ajilat - University of Zawiya

Abstract**:**

The study discussed the use of color symbolism in modern Libyan poetry in the period from 1970-2000 through poets' interest in colors, and their use of them for various expressions, sometimes cheerful and happy, and other times sad. The problem emerged in that poets employ colors according to their awareness of their suggestive symbolic value in constructing the poetic image. Therefore, the poet relies in his use of colors according to the strength of their appearance to him. We find that in most cases, color is not mentioned in what is described to him, but rather reveals the poet's feelings, as it is a source of vitality, activity, comfort and reassurance, and a symbol of different feelings of sadness and happiness.

This study aimed to present the origins of color in modern Libyan poetry and its concept in language and terminology. It also traced the understanding of ancient and modern critics of color symbolism, its objectives, and motivations, and then traced the meanings and symbolism of colors in poetry.

With the employment of colors and their symbolism through models of Libyan poets in their use of color symbolism in their poetry and the connotations these symbols carry that vary according to the colors and their effects, then I concluded this study with a set of results that I reached through the study with the help of a list of sources and references that I used in this research, and I relied on the descriptive analytical method, in order to analyze the poetic texts in this research and the previous studies were the greatest support for me in this study, including the study (Khadija Boutayeb) of color in the poetry of Muhammad Al-Fayturi, and the study (Naima Miftah) in which I studied symbolism in the poetry of Khaled Zaghbiah, but we did not focus specifically on color as a symbol and other studies that prompted me to choose this topic for study specifically.

الملخـــــــص:

ناقشت الدراسة توظيف الرمز اللوني في الشعر الليبي الحديث في الفترة من 1970م-2000م من خلال اهتمام الشعراء بالألوان، واستخدامهم لها لتعبيرات متنوعة، المبهجة والمفرحة تارة، والمحزنة تارة أخرى، فبرزت المشكلة في أن الشعراء يوظفون الألوان حسبما يمتلكون من إدراكهم لما لها من قيمة رمزية ايحائية في بناء الصورة الشعرية، لذا يعتمد الشاعر في استخدامه للألوان حسب قوة ظهورها لديه، فنجد في معظم الأحيان لا يرد اللون فيما وصف له، بل يكشف احساس الشاعر، كونه مبعثًا للحيوية والنشاط والراحة والاطمئنان، ورمزًا للمشاعر المختلفة من حزن وسرور.

فهدفت هذه الدراسة إلى عرض تأصيل اللون في الشعر الليبي الحديث، ومفهومه لغةً واصطلاحًا، مع تتبع مفهوم النقاد القدامى والمحدثين لرمزية اللون، وأهدافه ودوافعه، ثم تتبع معاني الألوان ورمزيتها في الشعر.

مع توظيف الألوان ورمزيتها من خلال نماذج للشعراء الليبيين في استخدامهم للرمز اللوني في أشعارهم وما تحمله هذه الرموز من مدلولات تتباين باختلاف الألوان وتأثيراتها، ثم ختمت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة مع الاستعانة بقائمة للمصادر والمراجع التي استعنت بها في هذا البحث، وكان اعتمادي على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحليل النصوص الشعرية في هذا البحث وكانت الدراسات السابقة أكبر معين لي في هذه الدراسة من ذلك دراسة (خديجة بوطيب) اللون في شعر محمد الفيتوري، ودراسة (نعيمة مفتاح) التي درست فيها الرمزية في شعر خالد زغبية لكن لم نركز تحديدًا على اللون كرمز وغيرها من الدراسات التي دعتني أن أختار هذا الموضوع للدراسة بالتحديد.

المقدمـــــة:

يشكل اللون رمزًا شعريًا ذا دلالة مركبة، فهو يتموقع عند تقاطع الجماليات، والانفعالات النفسية، والبناء الرمزي، ففي الشعر العربي ارتبط اللون في أوساط الثقافة القديمة بالمشاعر، كالأخضر رمزاً للحياة، والأحمر رمزاً للدم، والأسود رمزاً للحزن، ومع انتقال الرمزية إلى الشعر الحديث، أصبح اللون أداة تعبيرية غنية تستخدم لبناء المفاهيم وتمثل للقيم، ففي السياق الليبي، أولى النقاد والعلماء أهمية لهذه الظاهرة وسلطوا الضوء على الرمز اللوني ضمن إطار أوسع من الرمز الثقافي، فيحول اللون في الشعر الليبي الحديث إلى أداة إيحائية تضخ المعنى والرمزية باتساعها، فاللون لا

يقف عند كونه صورة مجردة، بل يحمل أبعادًا عاطفية، واجتماعية، نفسية، كما أن اللون في الشعر هو تقنية فنية تتيح للشاعر التعبير عن الأفكار بطريقة غير مباشرة وموحية مستغلاً القوة الدلالية للألوان، لإضافة طبقات من المعنى والجمال إلى نفسه الشعري.

المبحث الأول- مفاهيم الرمز اللوني

1-مفهوم الرمز اللوني لغةً واصطلاحًا: بما أن الرمز في اللغة يدل على الإيماء بشيء يفهمه المخاطب دون التصريح به[1].

فاللون: هو الهيئة التي تميز بها الأشياء من حيث إدراك البصر لها كالأحمر، والأخضر، والأصفر وغيرها.

فالرمز اللوني لغويًا: هو الإشارة أو الإيماء إلى معنى عين باستخدام لون من الألوان دون التصريح به[2].

مفهوم الرمز اللوني اصطلاحًا: الرمز اللوني في الشعر هو توظيف الألوان بوصفها رموزاً دلالية وإيحائية تعكس أبعاداً نفسية أو اجتماعية، أو فكرية، أو فلسفية تتجاوز المعنى الظاهري للون، لتضفي على النص الشعري عمقًا وتأويلاً متعدد المستويات[3].

فيستخدم الرمز اللوني في الشعر للتعبير عن الانفعالات والأفكار المجردة، إذ يصفي بعداً ايحائياً على الصورة الشعرية، فمثلاً اللون الأسود يرمز غالباً إلى الحزن، في حين اللون الأبيض يدل على النقاء والسلام واللون الأحمر، يرمز إلى الحب أو الدم، أما اللون الأخضر يدل على الحياة والخصب والأمل [4].

2-اللـــون عند النقاد القدامى والمحدثين: اللون عند النقاد القدامى، حيث يرى الجاحظ (255-868م) أن الشعر متاعه وضرب من النسيج وجنس من التصوير[5] ، ومثله ابن طباطبا (322-934) الذي درس العلائق بين الفنون فعنده أن الشاعر الحاذق كالنساج الحاذق الذي يصبغ الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشته، ويتبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان[6]. وأما عبدالقاهر الجرجاني (471-1078م) فذكر العلاقة بين الشعر والرسم، قال: "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل معها الصور والنقوش فأكد بذلك التقارب بين صفة المبدع والرسام، فكلاهما يقدم عملاً حسياً"[7].

ولعل حازم القرطاجني (684-1284م) أشار بعده مرتين إلى هذه العلاقة، فقال عن المحاكاة "إن المحاكاة كالمسموعات تجري من السمع مجرى الملونات من البصر"[8]، وكان العربي في العصر الجاهلي يلمس أدق الفروق في ألوان بيئته المحيطة به ويعبر

عنها بأدق المسميات [9].

اللون عند النقاد المحدثين: للون جماليات دفعت بالبحث إلى دراسة تبين فاعليته ودلالاته الجمالية من خلال السياق الشعري لأنه وحده الذي يبين دلالة اللون، ولأن اللون لم يكن ظاهرة بصرية فقط وإنما تجاوز ذلك إلى دلالة جمالية وذهنية ونفسية ووجدانية، إضافة إلى دلالات أخرى ينيرها اللون نفسه عندما يرد في سياقات أخرى [10].

المبحث الثانـــــــي ـ أهداف الرمز اللوني ودوافعه في الشعر:

1-أهداف الرمز اللوني ودوافعه في الشعر الليبي الحديث: يلجأ الشعراء الليبيين في العصر الحديث إلى توظيف الرمز اللوني كأداة فنية تحمل أبعاداً إيحائية وتعبيرية متعددة تتجاوز وظيفة اللون كعنصر جمالي إلى كونه وسيطاً دلالياً يعكس القضايا الفكرية، والاجتماعية والثقافية للذات الليبية في سياقاتها الحديثة، ومن أهم الأهداف:

1- التعبير عن الانفعال الذاتي والتحولات النفسية: يستخدم الشعراء اللون للتعبير عن الحالة الشعورية النفسية للشاعر، فيعبر بالألوان على نفسيته، مثال ذلك اللون الأسود، الذي يعكس لدى الشاعر الإحساس بالضياع والقهر، والحزن المرتبط بحالته النفسية [11].

2- تكثيف الصورة الشعرية وتعميق دلالتها: اللون عنصر بصري يمنح الصورة الشعرية حيوية وديناميكية، ويوفر بعداً جمالياً يساعد على تأويل النص من زوايا مختلفة، فمثال اللون الأبيض قد يكون في سياق معين رمزاً للنقاء، وفي آخر رمزاً للفراغ والضياع [12].

3- إبراز الهوية الثقافية والانتماء المحلي: الشاعر الليبي يوظف اللون كدلالة على الانتماء إلى البيئة الليبية بأقاليمها، وتضاريسها، وألوانها التاريخية، فالشاعر يعبر في شعره عن الألوان وكيف يستخدمها مثل اللون الأصفر الذي يشير إلى الصحراء، والحر، وهو ما يستخدم لترميز القسوة أو الشقاء، أو الامتداد الوجودي [13].

4- كسر المباشرة عبر الترميز الجمالي: من أهداف الرمز اللوني كذلك التحايل على الرقابة السياسية أو الاجتماعية، عبر تقديم دلالات محمولة بلغة رمزية غير مباشرة تسمح للشاعر بالتعبير الحر، وتفتح النص أمام التأويل، مثال ذلك استخدام اللون الأسود بدلاً من ذكر "الاستبداد"، أو اللون الأحمر للدلالة على "الدماء" دون ذكر الحرب صراحةً [14].

دوافع الرمز اللوني في الشعر الليبي الحديث: يعتبر الرمز اللوني في الشعر الليبي

الحديث أحد العناصر الجمالية والدلالية التي اكتسبت وظيفة رمزية متعددة الأبعاد، حيث يوظفه الشعراء للتعبير عن الذات، والواقع الاجتماعي، والسياسي، والبعد الجمالي للصورة الشعرية، ومن أهم الدوافع التي شجعت على استعمال الرمز اللوني في قصائد الشعراء أهمها:

1- الدوافع النفسية والتعبيرية: يلجأ الشاعر الليبي إلى اللون كأداة لتكثيف مشاعره الداخلية، فاللون يتحول من مجرد عنصر بصري إلى وعاء نفسي، ينقل الحزن أو الفرح، أو القلق أو الطمأنينة، أو الغضب أو الخضوع، مثال ذلك استعمال اللون الأسود في قصائد محمد الفيتوري يرمز إلى الحزن والتاريخ القاسي، في حين أن اللون الأحمر يستعمل لدلالة على الحب والفرح عند شاعر آخر [15].

2- الدوافع الثقافية والتراثيـــــة: تستند الدلالات اللونية في الشعر الليبي الحديث إلى مرجعية تراثية وشعبية راسخة، حيث تتموضع الألوان ضمن منظومة رمزية متوارثة ترتبط بالثقافة الدينية أو الأسطورية، أو البدوية، مثال ذلك "اللون الأبيض يرمز إلى التقوى والصفاء، في حين اللون الأسود، يستحضر أحياناً كرمز إلى التقوى والصفاء، في حين اللون الأسود يستحضر أحياناً كرمز للغيب أو لرهبة، القدرة، أما اللون الأزرق يرتبط بالحماية من العين أو بالسماء والصفاء الروحي [16].

3- الدوافع الجمالية والبلاغية: يستثمر اللون كأداة لتكثيف الصورة الشعرية، وبناء الإيقاع البصري داخل النص، مما يمنح العمل الشعري بعداً يتجاوز المعنى المباشر نحو الإيحاء والرمز. فالألوان تستخدم لرسم مشاهد ذات طابع تعبيري يخل التوتر أو الانسجام، ويعزز من قوة الصورة البلاغية[17].

2-دلالة الألوان ورمزيتها في الشعر الليبي الحديث: يستخدم الشعر الليبي الحديث الألوان كعلامات رمزية تحمل دلالات نفسية، اجتماعية، وسياسية، والشعراء الليبيون كثيراً ما يوظفون الألوان ضمن صور مركبة ومجازات، مستلهمين من البيئة المحلية، والموروث الشعبي، والواقع السياسي، كما تلعب الألوان دوراً دلالياً هاماً، حيث تستخدم رمزياً لتكثيف المعاني وتحميل النصوص الشعرية بشحنات عاطفية وثقافية، وتاريخية تختلف دلالة الألوان حسب السياق، لكن يمكن أن أعرض بعض الرموز اللونية والدلالات العامة التي غالباً ما تظهر في الشعر الليبي الحديث.

1- دلالة اللون الأبيض: اللون الأبيض سمة الجمال في المرأة العربية بصفة عامة، ولعله أحب الألوان إلى القلوب، وأكثر قرباً من النفوس وانسجامًا مع الطبع[18]، والعرب تعطي اللون الأبيض دلالات مجازة عدة منها على سبيل المثال ما يكون بدلالة الإشراق والإضاءة، وقد يستخدم أيضاً للدلالة على النقاء، والظهر، والشرف،

وإذا قيل فلان صحيفته بيضاء، أو فلانة بيضاء فهي دلالة على النقاء والطهر، والخلو من الدنس والعيوب.

وأحياناً أخرى يستخدم اللون الأبيض للمدح وذلك للدلالة على نقاء العرض في حين أخذت الصورة المقابلة له وهي القبح والذم[19].

فاللون الأبيض من الألوان التي تدل على الصفاء والنقاء، والأمل، والهداية، والرشاد، وحسن السريرة، ورمز للطهارة، وكل خير نجده في دلالة هذا اللون، حتى الرسول (ﷺ) حث على لبس الرداء الأبيض، ومن ألمع الصور التي سبقت على اللون الأبيض، واستعملها الكثير من الشعراء في قصائدهم بياض الصبح وجماله، وغياب ظلمة الليل في بياضه، وهذا ما يدل على الأمل والإقبال على الحياة[20].

وخلاصة ذلك، وجدتُ دلالة اللون ورمزيته في كثير من الثقافات على ما يستحب من المعاني، كالصفاء، والنقاء، والصراحة، والوضوح، والطهر، والبراءة، وجمال اللون وإشراقه، والمهادنة، والمسالمة، وقد أصبح هذا اللون مصدر التفاؤل عند كثير من الشعوب.

2- دلالة اللون الاخضر: الأخضر هو اللون الذي يدل على الخصب والرزق، وهو لون النعيم في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿**عليهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَق**﴾ ، واللون الأخضر من الألوان التي تدعو إلى راحة نفسية وسعة الصدر، وسمو الروح، وذهاب الحزن، وهو لون يدل على الحياة والحركة، ولا يشعر الإنسان بأي ضيق أو ملل مع هذه الألوان،، لكونه يُوحي بالسلام والنمو والخصب[21].

ويُعد اللون الأخضر مميزاً بدلالته السلبية والأساسية على الخصوبة والنماء، حيث يتجلى ارتباطه في الطبيعة بالأشجار والحقول، وفصل الربيع، كما أنه رمز للترف والنعيم، كما يرمز للروحانية والدين، فالأخضر في الإسلام يرتبط بالجنة والرخاء الروحي[22].

3- دلالة اللون الأزرق: للون الأزرق ميزة تميزه عن غيره من الألوان، وهي أن هذا اللون يتلون به شيئان، هما السماء والبحر، وهذان الشيئان اللذان تلونا باللون الأزرق لهما شأنهما عند الشعراء، ولذا فهو لون يُعطي انطباعاً بالهدوء والنضارة والأمن، وتهدئة الأعصاب إذ أنها كثيراً ما يخدمان الصورة التي يراد الشاعر إيصالها للقارئ[23].

4- دلالة اللون الأصفر: اللون الأصفر قد يكون مرغوباً جداً خاصة إذا اقترن بالذهب والزعفران، وقد يكون مرفوضاً إذا دل على المرض، فيقال وجهه أصفر، وهو يحمل دلالة المرض، والضعف، والهزل، والذبول، والشحوب، وقد يستخدم اللون الأصفر

ليرمز إلى الشمس كعنصر حارق يشير إلى الصراع أو القسوة، وكل شاعر وكيف يوظفه في شعره[24].

5- دلالة اللون الأحمر: اللون الأحمر له دلالات متعددة تدل على القرب، وعلى الدم، والقتل، ويرمز إلى الفرح والسعادة، والثقة بالنفس، ويرتبط دائماً بالمزاج القوي، والشجاعة، والثأر، ويُعد اللون الأحمر من أغنى الألوان دلالة، فهو غنيٌ جداً بدلالات الحمرة، فهي تدل على الدماء لما هو مرتبط بلون الدم، وتدل أيضاً على التعب والمشقة، وعلى الموت في الحروب، واحتدام القتال بين المحاربين، ويقال على اللون الأحمر عن العرب موت أحمر، وذلك لدلالة الهول، والموقف وشدته[25]، ويقال سنة حمراء للدلالة على جدبها وفقرها، وليس اللون الأحمر كله يدل على الصفات المذمومة، فقد يدل اللون الأحمر على الجمال والحسن، وخاصة إذا اقترن البياض بالأحمر، فيكون اللون محبباً إلى النفس[26]. وتعددت دلالات اللون الأحمر خاصة عندما يرتبط بالطبيعة بعضها يثير البهجة والإنشراح، وبعضها يثير الألم والإنقباض، فمن ارتبط بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر، ومن ارتبط بالياقوت والورد استعمل للجمال، ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة استعمل رمزاً للخجل والحياة تارةً، وللغضب تارةً أخرى[27].

ولكل شاعر وكيفية توظيفه إلى هذا اللون بجميع دلالاته وحسب السياق الذي يرد فيه.

6- دلالة اللون الأســـــود: كثيرة جداً في شعرنا العربي والليبي، وحسبما يستعمله الشاعر في شعره بالدلالة التي يريدها، وكانت أغلب دلالات اللون الأسود مأساوية في أعمها الأغلب، تحتلها معاني الحزن والهم والغم، وكثيراً ما يستكره ويتشاءم به، لهذا عبر كثير من الشعراء بهذا اللفظ على المعاناة وكل ما هو سلبي، كالآلام، والعذاب، والمشقة، وعلى الخوف والحداد[28].

ولكن اللون الأسود يتحول أحياناً إلى رمز للجمال حيتما يوصف به شعر المرأة، وأحياناً يرتبط في حالات أخرى لقبح المرأة أو الرجل فيصبح سمة للنقص والعار.

ويرمز بهذا اللون للقوة والرزانة في بعض السياقات، كما يمثل القوة والهيبة خاصة عند الرجال في بعض المناسبات الرسمية[29].

وخلاصة دلالة الألوان ورمزيتها في الشعر الليبي الحديث قد تأتي بدلالات ورموز مختلفة بحسب البيئة، وقد تأتي بأسماء أخرى غير أسمائها الصريحة، وهذا أكثر كالدم للأحمر، والزعفران للأخضر، والليل للأسود، والربيع للأخضر، وقد تأتي مرتبطة بالحيوانات أو بالطبيعة وبالبشر، ولكن تظل رغم كل ذلك رافداً نفسياً وفكرياً للأدب.

المبحث الثالث ـ نماذج من توظيف الشعراء الليبيين للرمز اللوني في أشعارهم:

اعتمدوا الشعراء الليبيين على توظيف الإيحاءات اللونية في رسم صورهم الشعرية، وذلك للتدليل على حالاتهم النفسية والشعورية المتنوعة، وقد تفاوت إهتمام الشعراء بتلوين لوحاتهم الشعرية بقدر فهمهم لقيمة اللون وقدرتهم على توظيفه في خدمة الصورة الفنية. فمنهم من نظر إليه نظرة المساواة مع العناصر الفنية الأخرى، ومنهم من فضله عليها، ومنهم من جعله مفسراً لأركان صورته وبث الرمز فيها.

وإن اختلف الشعراء في قدرتهم على توظيف هذا الرمز، إلا أنهم اتفقوا على قيمته الفنية لرسم لوحاتهم الشعرية.

فهذا الشاعر الفزاني يتلذذ بالرسم والتلوين في قوله:

هذا أنا

ويمامتي العذراء نرسم لذة اللون[30]

ولون الشاعر عبدالرحمن طيف حبه بألوان المرأة، فقال:

بدايتي أنت

طيف كلون مرآيتي

تطفو على وجه السماء[31]

فهنا يلزم الشاعر نفسه الصدق مع حبيبته، فلا كذب، ولا زخرفة، إذ المرآة تعطي للألوان حقيقتها دون زيف أو تزوير، يزيد هذه الألوان جلاء وصفاء عندما يطفو بها على وجه السماء حيث السمو والعلو والرفعة.

وبما أن اللون الأسود في أغلب الثقافات دلالة على ما يستكره، ويتشاءم به من المعاني، ويمكن أن نفسر هذه الدلالة بارتباط اللون الأسود بمواقف مقبضة ومنفرة ومحزنة، ويُعد اللون الأسود أكثر الألوان شيوعاً لدى الشعراء في ليبيا، وذلك يعطي انطباعاً عن حالة المواطن، وامتهان كرامته، وضياع مقدساته، فيوظف الشاعر محمد الشلظامي اللون الأسود بلفظتي (السود والسوداء) ليعبر عن معنى التشاؤم والحزن، والمعاناة، فيقول:

يا لهذي اللحظات السود كم تأتي بوجه

آخر في كل يوم

ذلك اليوم الذي أحياه

لم أمسى وهذي
الليلة السوداء في سجني الجديد[32]

كما يستخدم الشاعر جيلاني طريبشان اللون الأسود رمزاً للتشاؤم والعذاب، ويرى البحر وقد غطاه السواد، واجتاحته الظلمة، فيقول:

أتيتك من عذاب القبر
كان البحر أسود
والنسمات ماتت في عيون الطير والأطفال والسفن الشتائية[33]

ويقول أيضاً:

فالكلمات حضارات ولت وتمطت
في زمن القتل الأسود، والتشريد الأسود[34]

لا يجد الشاعر صورة ووصفاً للقتل والتشريد أبشع من إضافتها للون الأسود، والقتل بذاته يكفي فهو إنهاء للحياة، وإزهاق للأرواح، فكيف بها وهو أسود كالح، كذلك التشريد والطرد من الأوطان، أعطى اللون الأسود انطباعاً نفسياً كئيباً على الصورة الشعرية في القصيدة، وهذا اللون الأسود رمزاً للتشاؤم والعذاب.

يلجأ بعض الشعراء إلى ألفاظ تشع إيحاء اللون الأسود باستخدام بعض درجاته اللونية، منها اللون الأسمر وله دلالات متعددة، منها ما يدل على الثورة والأرض والمحبوبة، أو يدل على العروبة والانتماء.

فيوظف الشاعر علي الفزاني اللون (الأسمر) رمزاً للثورة على الظلم، ثورة المسحوقين، ولعل السمرة يراد بها أفريقيا، فيقول:

بيني وبينك ما أقوى من الموت
هي الثورة السمراء منذ عرفت كلماتك الصادقات
وسمعتك في وجه النفاق تصبح[35]

كما وظف الشعراء الليبيون اللون الأحمر بدلالات مختلفة سلبية وإيجابية للإيحاء بمعاني مختلفة، فقد وظف الشاعر حسن السوسي اللون الأحمر كرمز لحبيباته، فرسم لنا لوحة مزركشة مزدحمة بالألوان كازدحام الحسناوات بقلبه عندما قال:

إني جعلت لكلّ واحدةٍ بـــــــــهِ رمـــــزاً يذكـــــــرني إذا لم أذْكرِ

فهناك صاحبة الوشاح الأحمرِ وهناك صاحبة الشريط الأخضر[36]

فجعل الشاعر اللون الأحمر رمزاً للفتنة والشهوة والحب، فكانت صاحبة الوشاح الأحمر، ووظف الشاعر علي صدقي عبد القادر اللون الأحمر في أبيات شعرية، حيث قال:

أغنية حمراءُ، كالحناء، في كف الفتاة

إن اللون الأحمر غالباً ما يقترن بمعان الثأر والفرح، كحدين قصيين لدلالته، غير أن النص، حيث ربطه بالغناء وما يصاحبه من شحذ لحماسة المناضلين، كما ربطه أيضاً بمعاني الفرح، فاستحضر الحناء كرمز بما تحمله من دلالة الاحتفال وطقوس الأفراح.

ويوظف الشاعر لطفي عبد اللطيف اللون الأحمر باحمرار الأفق، دلالة على بداية إشراق شمس الثورة وهي كرمز، حيث يقول:

أرى الأفق يحمر
يوحي بإشراقها
والدليل اضطرابي
تمهل أيها الزهر
إن التفتق لابد يجرح
لابد يوجع رتق النقاب[37]

ويوظف الشاعر خالد زغبية اللون الأحمر بإضافة إلى لفظة الحرية (الحرية الحمراء) وهي رمزاً للحرية المكتسبة بالدم، فيقول خالد زغبية:

وروع الدجى، نسيب
بلحن عندليب
يصدح بالحرية الحمراء[38]

أما اللون الأبيض، فكانت له دلالات إيجابية ومعاني محببة مثل النقاء، والطهارة، والأمل، والتفاؤل، والإشراق.

وقد وظف الشعراء الليبيون اللون الأبيض وإيحاءاته اللونية مثل الضياء، رمزاً للأمل المنتظر، كما في قول الشاعر (عبدالحميد بطاو) في قصيدته (غداً نلتقي):\

حبيبتي
من أجل مولد الربيع
من أجل فجرنا الموعود والضياء
من أجل هذا الوطن الحزين
من أجل أن نظل صامدين
لا تنحني مهزومة
إياك والبكاء[39]

في حين يوظف محمد الشلظامي اللون الأبيض رمزاً لأمل المفقود، فيقول:

حزنت
لم يعد في غرسه الحزن التي أحملها
زهرة بيضاء أو غصن ندي[40]

في حين يوظف اللون الأبيض الجيلاني طريبشان، حيث تلتحم فيه دلالة اللون الأبيض بالبعد الديني، حيث يقول:

فتطمت أشرعة الحزن البيضاء
تنعي موتي ورحيلي[41]

حيث أن ثياب الفرح بيضاء، وثياب الحزن أيضاً، مما يحمل جدلية تنبني على تناقض المعنى من أجل خلق دلالة تنفتح على الموروث الديني بزخمه وأبعاده الخاصة، وهو ما يمنح للصورة الشعرية طابع الغنى الثقافي، الذي يتبع جدلية الحياة والموت.

أما اللون الأخضر: يُعد اللون الأخضر رمزاً للنماء والتجدد، والخصوبة، والعطاء، والحيوية، والتفاؤل، وحمل دلالة التجدد فبعد الموت الظاهر للشتاء يعبر اللون الأخضر عن تجدد الربيع[42]. وقد وظف الشعراء الليبيون اللون الأخضر بدلالات مختلفة، ومن النصوص التي تناولت اللون الأخضر قصيدة (عن الموت)، و(الحب والحرية) لمحمد الشلظامي، يوظف فيها اللون الأخضر رمزاً للأمل القادم حيث يقول:

ولنغن فالصباح
قادم يحمل في راياته الخضراء
آلاف المواعيد

الجميلة
قادم كي يستعيد العالم المقهور
أعياد الطفولة[43]

واللون الأخضر حاز باهتمام كبير عند الشعراء الليبيين وذلك يرجع هذا لتطلع الشعراء وحلمهم بواقع مليء بالنماء والتجديد والخصوبة، والعطاء، والحيوية، والتفاؤل التي يرمز لها اللون الأخضر، فهذا الشاعر محمد الربيعي يجعل اللون الأخضر رمزاً للحياة والأمل، عندما لون به قلبه المحب المعطاء بفضل لمسات الحنان التي وهبتها له حبيبته، في قوله:

يوم التقيتك كان بدء ولادتي
فاخضر قلبي من حنانك وارتوى[44]

كما وظف الشاعر أبوحميدة الحرف باللون الأخضر، ليعطيه مدلولاً إيحائياً يعني الحب والاستمرارية، والتفاؤل، إذ يقول:

تخُطين في القلب سطراً
بكل اللغات
أحبك... والحرف أخضر[45]

اللون الأصفر: للون الأصفر دلالات على الذبول، والموت، والمرض، والزوال، والضعف، والتشاؤم، والنفاق، فكانت أغلب الدلالات سلبية في إيحاءاتها.

وقد استخدم عدد من الشعراء الليبيين اللون الأصفر رمزاً للنفاق، فيقول عبدالحميد بطاو:

بعض الكلمات بذور متمردة
تنمو في أعماق الرمل القاحل
بعض الكلمات الغامضة العجفاء مناجل
بعض الكلمات المتملقة الصفراء سلاسل[46]

ويوظفه الشاعر علي الفزاني رمزاً للنفاق، حيث يقول:

لم تغرني أوسمة أو بسمة صفراء
معذرة فالشعر في تصوري إباء

ويقول الفزاني حين يوظف اللون الأصفر بدلالات الذبول والزوال:

وعلى درب المحال
سوف تأتين طيوفا وخيال
وردة صفراء تذوي في أعاصير الليل[47]

أما من حيث الألوان المركبة: حين تكون بين لونين أو أكثر والغالب هو ازدواجية لونين تبدأ في اتخاذ شكل الثنائيات من كل طرف أو قطب من الطرفين مثل الأسود والأبيض، وتتنزع الازدواجية مع لون آخر، مثال ذلك:

الأسود والأبيض: استخدم الشاعر سالم العوكلي تقنية مزج المتناقضات في توظيفه لازدواجية اللونين كرمزين متناقضين هما الأسود والأبيض، فجعل اللون الأبيض عتمة تثقبها العين السوداء، فمزج بين اللحاف الأبيض والعين السوداء.

عين سوداء
تثقب عتمة اللحاف الأبيض
يتهادى
فوق الكاحل المترع
كرذاذ من النسيان[48]

الأخضر والأبيض: يوحي اللونان الأخضر والأبيض بالخصب والحياة، والتفاؤل والإشراق، والجمال والبهجة، وقد ترددت هذه المعاني والدلالات عند عدد من الشعراء، حيث يقول خالد زغبية عندما مزج اللونين الأخضر والأبيض، واستخدامه كرمز للنقاء والجمال الحسي في تصوير حبيبته:

قلت فيما أمطرت
عيناها الخضراوان
باللؤلؤ الفضي
أين تُرى أراك؟[49]

الأحمر والأبيض: تعددت دلالات الأحمر بين الإيجابية والسلبية، وقد يحدث الاختلاف في الدلالة وإيحاءاتها في القصيدة الواحدة، فيجعل الشاعر الأحمر دلالتين في صورتين مختلفتين، دلالة للفتنة وإراقة الدماء، ودلالة ثانية رمز للحب والطفولة، أما دلالة اللون الأبيض، فكان رمزاً للسلام.

فيقول الشاعر خالد زغبية:

فسالت الدماء
على ثرى لبنان كالأنهار
من أجل أن تبرعم زُهيرة حمراء
من أجل أن ترفرف حمامة بيضاء
من أجل أن يسود الحب والسلام والإخاء (50)

وهكذا كان توظيف الشاعر الليبي للرمز اللوني، محاولاً تصوير أفكاره وأحاسيسه من خلال ما نسجه من صور فنية رمزية استعان فيها بعناصر الطبيعة والألوان، فامتزجت فيها العاطفة وما اختزله الوجدان من إيحاءات استغلها الشاعر الرومانسي ليهمس بها في وجداننا ويلامس بها مشاعرنا.

الخاتمـــــة:

وفي ختام هذه الدراسة لتوظيف الرمز اللوني في الشعر الليبي الحديث في الفترة 1970-2000م، لقد حاولتُ في هذه الدراسة تقديم قراءة تحليلية موسعة للرمز اللوني في الشعر الليبي الحديث، من خلال تتبع تحولات دلالاته عبر السياقات المختلفة من اجتماعية، نفسية، وجمالية مختلفة، انطلقت الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن اللون في الشعر الليبي ليس مجرد عنصر تزييني، بل هو بنية رمزية فاعلة تؤدي دوراً حيوياً في بناء المعنى، والتعبير عن التجربة الذاتية والجماعية، وتحميل النص أبعاداً دلالية، ثقافية، ونفسية، ومن ذلك أسجل ما توصلتُ إليه من نتائج، وما خلصتُ إليه من آراء، وهـــــي:

1- تنوع رمزية اللون، فاتضح أن الألوان لها وظائف متباينة باختلاف الشعراء والسياق.

2- استخدام الشعراء الليبيون للرمز اللوني يختلف من شاعر لآخر، وقد اختلف هذا الاستخدام لاختلاف المكان والزمان، والحالة النفسية للشاعر عند نظمه.

3- الرمز اللوني عنصر دلالي مركزي في الشعر الليبي الحديث، لا يقتصر استخدامه على البعد الجمالي أو الوصفي، بل يوظف بوصفه أداة رمزية تعبر عن مواقف سياسية وانفعالات نفسية، وتحولات اجتماعية.

4- يتسم التوظيف اللوني في الشعر الليبي بمرونة دلالية، حيث يخضع اللون لتعدد في المعاني تبعاً للسياق، فمثلاً اللون الأحمر قد يدل على الدم والثورة والشهادة، بينما يدل في سياقات أخرى على الحب أو الألم.

5- تستخدم الألوان في الشعر الليبي كآلية إيحائية بديلة للتعبير عن القضايا الحساسة،

خاصة في فترات الرقابة أو القمع، حيث يلجأ الشاعر إلى الرمز اللوني للتلميح دون التصريح مما يمنح النص عمقاً وثراءً تأويلياً.

الهوامـــــــــــــش:

1- لسان العرب ابن منظور، مادة (رمز).
2- الصحاح في اللغة، الجوهيري، مادة (لون).
3- الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره النفسية والمعنوية، دار العودة بيروت، ص 215.
4- بلاغة الرمز في الشعر العربي المعاصر، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص90.
5- كتاب الحيوان، الجاحظ أبو عثمان بن بحر، تح: عبدالسلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي ، ط3، 1969م، ص 3/1320.
6- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تح: طه الحاجري، ومحمد زغلول، المكتبة التجارية، القاهرة، لا ط، 1950م، 605 .
7- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح السيد محمد رشيد رضاء، القاهرة، دار المغارة، ط4، 4958م، ص71 .
8- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم محمد الديب بن الخوجه، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، ص 104.
9- لغة الألوان، مجلة اللغة العربية، شفيق جبري، 1967م، ص 200.
10- جماليات اللون في شهر زهير بن أبي سلمى، موسى ربايعه، بحث نشر في مجلة جرش للبحوث والدراسات، الأردن، 1998م، ص 8 – 49 .
11- بلاغة الرمز في الشعر العربي المعاصر، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص92
12- نظرية الشعر، عبدالملك مرتاض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م، ص 190.
13- دراسة في رمزية الألوان في الشعر الليبي المعاصر، أحمد النويري، منشورات مجلة البحوث الأدبية، طرابلس، ط- 2018م، ص48..
14- الشعر المعاصر بين الرمزية والواقعية، صالح علي عياد، مجلة كلية الآداب، جامعة طرابلس، 2016م، ص67 .
15- مجلة مداد للدراسات الأدبية والنقدية (الألوان في الشعر الليبي محمد الفيتوري نموذجاً)، خديجة بوطيب، العدد 3، 2024م، ص 26 – 88 .
16- أطياف المعنى، أحمد النويري، دراسة في رمزية الألوان في الشعر الليبي المعاصر، منشورات مجلة البحوث الأدبية، طرابلس، 2018م، ص 43 – 48 .
17- بلاغة الرمز في الشعر العربي القديم، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص 90-92.

18- دلالة الألوان في الشعر العربي القديم، خالد صكبان حسن، مجلة دراسات البصرة، جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج، 2012م، ص 27 .
19- دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام، أماني جمال عبدالناصر البيك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، 2010م.
20- دلالة الألوان عند شعراء العصر المغولي، عثمان محمد مهيني، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج170، ج8، 2016م، ص 150.
21- المصدر السابق، ص 142.
22- دلالة الألوان في شعر محمود درويش، جملتزروباش، ع8، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2017م، ص 182 .
23- جمالية اللون في الشعر العربي، سامي ندا جاسم الدوري، مجلة الدستور، الأردن، ص20.
24- دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في عصر الإسلام، أماني جمال، رسالة ماجستير، 2010م.
25- دلالة الألوان في الشعر العربي القديم، خالد صكبان، مصدر سابق، مجلة دراسات البصرة، ع27، 2018م، ص 138.
26- دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية، مصدر سابق، ص20.
27- دلالة الألوان في شعر محمود درويش، مصدر سابق، ص 27.
28- جمالية اللون في الشعر العربي، مصدر سابق، ص 24.
29- المصدر السابق، ص 25 .
30- ديوان فضاءات اليمامة العذراء، علي الفزاني، الدار الجماهيرية للطباعة والنشر والإعلان، ط1، 1998م، ص 33 .
31- ديوان أسرار، عبدالرحمن شلقم، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لا ط، 2001م، ص 50 .
32- ديوان أناشيد عن الموت والحب والحرية، محمد الشلطامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته – ليبيا، ط2، 1998م، ص 51.
33- ديوان رؤيا في ممر، 1974م، جيلاني طرابيشان، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1978م، د ط، ص 10 .
34- المصدر السابق، ص 39 .
35- ديوان دمي يقاتلني الآن والقناديل القابع في المدن الوثنية، علي الفزاني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، 1984م، ط1، ص 119.
36- ديوان نوافذ، حسن السوسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، ط1، 1987م، ص 59.
37- ديوان قليل من التعري، لطفي عبداللطيف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته – ليبيا، ط1، 1999م، ص12 .
38- ديوان الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس- ليبيا، 2007م، ص 150.
39- ديوان الأعمال الشعرية، عبدالحميد بطاو، دار الرواد، طرابلس- ليبيا، 2009م، ط1، ص14.
40- ديوان تذاكر الحجيم، محمد الشلطامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلان، مصراته- ليبيا، ط1، 2001م، ص 5.
41- ديوان رؤيا في ممر عام، جيلاني طريبشان، مصدر سابق، ص 38.
42- الرمز في الشعر الأردني المعاصر، لقمان رضوان الشطناوي، رسالة دكتوراه، جامعة مؤته، الأردن، ص 268.

43- ديوان أناشيد عن الموت والحب والحرية، محمد الشلطامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته- ليبيا، 1998م، ط2، ص 60 .
44- ديوان ذلك المتكئ على كف الوادي، محمد الربيعي، منشورات مجلة المؤتمر، ط1، 2004م، ص20.
45- ديوان يبتغيك الفؤاد قريباً، محفوظ أو حميدة، ط1، 1982م، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، ص 18 .
46- ديوان من الأعمال الشعرية، عبدالحميد بطاو، مصدر سابق، ص7.
47- ديوان مواسم الفقدان، علي الفزاني، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس –ليبيا، 1980، ط1، ص 52-303.
48- ديوان الوهابة سارقة الموسيقى، سالم العوكلي، مجلس الثقافة العام، سرت- ليبيا، 2008م، د ط، ص48.
49- ديوان الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، مصدر سابق، ص 3-4 .
50- المصدر السابق، ص 34 .